من الاغتراب إلى التشيُّؤ
في منظور كارل ماركس

"التشيُّؤ" منهجًا ماركسيًا
لتحليل الرأسمالية ونقدها

سلسلة قضايا

تتخطى مؤلفات هذه السلسلة الإطار المدرسي الأكاديمي بالمعنى الضيق للكلمة إلى إطار أوسع يسمح بجدل وجهات النظر الفكرية المختلفة حول قضايا الإنسان والمجتمع والثقافة والدولة، على أن تتوفر في هذه الكتابات الرصانة العلمية والمعرفة والاطلاع الكافيان لتشكيل منظور فكري، وبما يضبط طرح القضايا ووجهات النظر بموجب المعايير النقدية الموضوعية للبحث النقدي المتسائل الذي يعيد النظر في القضايا والمفاهيم والإشكاليات.

من الاغتراب إلى التشيُّؤ في منظور كارل ماركس

"التشيُّؤ" منهجًا ماركسيًا لتحليل الرأسمالية ونقدها

علي أسعد وطفة

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر – إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

وطفة، علي أسعد

من الاغتراب إلى التشيؤ في منظور كارل ماركس: "التشيؤ" منهجًا ماركسيًا لتحليل الرأسمالية ونقدها/ علي أسعد وطفة.

163 صفحة؛ 21 سم. – (سلسلة قضايا)

يشتمل على ببليوغرافية (ص. 151–158) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-702-3

1. ماركس، كارل، 1818–1883. 2. التشيؤ. 3. الماركسية. 4. الرأسمالية. 5. الاشتراكية. 6. الاغتراب الاجتماعي. أ. العنوان. ب. السلسلة.

335.4

العنوان بالإنكليزية

From Alienation to Reification in Karl Marx's Perspective: Reification as a Marxist Method to Analyzing and Critiquing Capitalism

by Ali Asaad Watfa

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة – منطقة 70
وادي البنات – ص. ب: 10277 – الظعاين، قطر
هاتف: 40356888 00974

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، أيلول/ سبتمبر 2025

إهداء

أضاءَ قُلوبَنا بِوَهَجِ مَحبتِهِ ... تَدَفقًا بِسُمو تَواضُعِهِ ...
وَشُموخِهِ الإِنساني ... ...

وقد صح فيه قولُ الشاعِرِ:
تَراهُ إِذا ما جئتهُ مُتَهَلِّلًا ... ... كَأَنكَ تعطيهِ الذي أَنتَ سائِلُه

العميد المحبوب الأستاذ الدكتور
عيسى البلهان
عميد كلية التربية بجامعة الكويت

المحتويات

مقدمة 9

الفصل الأول: ماركس: عرّاب النظام الرأسمالي 17

أولًا: لمحة عن حياة ماركس ونشأته 18

ثانيًا: تأثير ماركس 22

الفصل الثاني: في مفهوم الاغتراب 27

أولًا: مفهوم الاغتراب 35

ثانيًا: من هيغل إلى فويرباخ 40

ثالثًا: من فويرباخ إلى ماركس 44

الفصل الثالث: من مفهوم الاغتراب إلى مفهوم التشيّؤ 51

أولًا: مفهوم التشيؤ 52

ثانيًا: عوامل التشيؤ 55

ثالثًا: التشيّؤ عند لوكاتش 60

رابعًا: التشيّؤ عند ماركس 61

الفصل الرابع: رأسماليّة التشيّؤ 69

أولًا: تشيّؤ العلاقات الإنتاجية 75

ثانيًا: العمل والتّشيّؤ 80
ثالثًا: التّسليع والتّشيّؤ 87
رابعًا: صنميّة السّلعة 92
خامسًا: من القيمة الاستعماليّة الاستهلاكيّة إلى القيمة التّبادليّة 98
سادسًا: الصّيغ الأربع للتّشيّؤ 101
1 – اغتراب العامل عن منتجات العمل 102
2 – الاغتراب في العمل – أو الاغتراب عن فعل الإنتاج 104
3 – الاغتراب الاجتماعي عن الآخرين 107
4 – اغتراب الإنسان عن جوهره الإنساني 108

الفصل الخامس: رؤية نقدية في نظرية ماركس الاغترابية 113
أولًا: بين ماركس والماركسية 114
ثانيًا: جوهر التشيُّؤ الرأسمالي 116
ثالثًا: سقوط التنبؤات 118
رابعًا: الرّأسماليّة تحفر قبرها 119
خامسًا: تقاطب الغنى والفقر في العالم 125
سادسًا: التّحوّلات في النظام الرأسمالي 127

الفصل السادس: راهنيّة ماركس 137
نقد النظرية الماركسية 141

خاتمة 143
المراجع 151
فهرس عام 159

مقدمة

"مثلما اكتشف داروين قانون التطور في الطبيعة العضوية، اكتشف ماركس قانون التطور في التاريخ الإنساني... كان هذا رجل العلم. لكن هذا ليس كلّ شيء، فالعلم بالنسبة إلى ماركس قوة ثورية وديناميكية تاريخية... لقد كان ماركس قبل أي شيء ثوريًا".
إنغلز في تأبين ماركس[1]

يشكل مفهوم التشيُّؤ (Reification) اليوم أداة منهجية للبحث في كينونة الإنسان وسبر أغواره ويُعَد أحدَ أكثرِ المفاهيم الإنسانية استخدامًا في مجال علوم الإنسان، وأعظمها قدرة على وصف مظاهر البؤس الإنساني والشقاء الاجتماعي. وهو يمثل في الوقت نفسه مدخلًا منهجيًّا تعتمده العلوم الإنسانية في تحليل الظواهر الاستلابية في واقع الحياة الاجتماعيّة[2]. وقد شُغلت الأساطير والأديان جميعها بمسألة البؤس الإنساني وتناولته بوصفه اغترابًا، ومضت في بحثٍ دؤوب جامح لا ينقطع عن عوامل هذا البؤس الاغترابي واستكشاف منابعه واستجلاء مآسيه التي أصابت الوجود الإنساني منذ بدء التكوين حتى يومنا هذا. وقد كان ذلك التناول في مسارات السعي الدائم إلى تجاوز هذا الاغتراب (Alienation) وتحرير الإنسان من معاناته الوجودية. ولا جُناح علينا في أن نقول إن التشيُّؤ يشكل تجسيدًا

(1) الخطاب التأبيني لفريدريك إنغلز في جنازة كارل ماركس بتاريخ 17 مارس 1883 في مقبرة هايغيت (Highgate Cemetery) بلندن.

(2) علي أسعد وطفة، "المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية: بحث في إشكالية القمع التربوي"، **عالم الفكر** (الكويت)، مج 72، العدد 2 (1998)، ص 241-281.

جوهريًا لشقاء الإنسانية، وتعبيرًا مكثفًا عن قسوة آلامها وشدة أحزانها في عالم يضج بالاستبداد والاستعباد، وتطغى عليه الويلات والكوارث والحروب. وقد شكّل الشقاء الاغترابي للإنسان موضوعًا للأساطير التي أسست للأديان والأحلام الطوباوية وهيَّأت لظهور "يوتوبيات" المدن الفاضلة والجمهوريات المثالية للعدالة الواعدة والرفاه المنتظَر[3].

ومن المهمّ في هذا السياق أن نشير إلى أنّ مفهوم التشيّؤ (Reification) يشكّل التجسيد السوسيولوجيّ الأعمق لمفهوم الاغتراب (Alienation) الذي يأخذ طابعًا فلسفيًا في معظم تجلياته. وقد ولِد مفهوم التشيُّؤ في صلب مفهوم الاغتراب ولازَمَه في الحضور والغياب، رديفًا له في المعنى والدلالة ومكافئًا له في المضمون والمحتوى والإشارة، فوجد كثير من المفكرين، أمثال جورج لوكاتش (György Lukács) وهربرت ماركوزه (Herbert Marcuse) وإريك فروم (Erich Fromm) وأكسل هونيت (Axel Honneth)، أنّ مفهوم التشيُّؤ يفوق مفهوم الاغتراب في مرونته وفي قدرته على التحليل التاريخي السوسيولوجي للظاهرة الاغترابية في المجتمع.

يجب علينا في هذا الاتجاه التطرق إلى جهود المفكر المجري الماركسي الشهير جورج لوكاتش[4] الذي أبرز هذا المفهوم وبلوره في

---

(3) Thomas More, *Utopia: Concerning the Best State of a Commonwealth and the New Island of Utopia* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

(4) جورج لوكاتش (György Lukács) (1885–1971): فيلسوف وكاتب وناقد ووزير مجري ماركسي. ولد في العاصمة المجرية بودابست، وغالبًا ما يُنظر إليه بأنه مؤسس الماركسية الغربية. وهو واحد من أبرز المُفكرين الماركسيين في القرن العشرين، وأحد المؤسسين الأساسيين لما يُعرف بـ"المدرسة الماركسية الغربية". عُرف بعمله الرائد **التاريخ والوعي الطبقي** (*History and Class Consciousness*) في عام 1923، وفيه أعاد قراءة الماركسية من منظور جدلي هيغلي، وله كتاب **تحطيم العقل** (1952). وهو صاحب مفهومَي التشيُّؤ، والوعي الطبقي الثوري، حيث إنه جادل بأن الطبقة العاملة هي الذات التاريخية القادرة على تجاوز الاغتراب. وكان يرى أن الرأسمالية لا تنتج الاغتراب الاقتصادي فحسب، بل تغلف الوعي البشري كله في شكل من الشيئية (تحول العلاقات إلى أشياء)، وهذا يشمل حتى المعرفة والفكر.

كتابه **التاريخ والوعي الطبقي** (*History and Class Consciousness*). وقد انبثق هذا المفهوم بقوّة كتعبير سوسيولوجي عن الاغتراب والاستلاب والأوضاع القهرية اللاإنسانية التي يعيشها الإنسان في القرن العشرين. واستطاع لوكاتش أن يَهَبَ هذا المفهوم قوتَه التحليلية، مستكشفًا إياه بدايةً في عمق الأعمال الفلسفية لكلٍّ من ماركس وإنغلز وزيمل وفيبر، وإليه يعود الفضل في إعادة الاعتبار إلى هذا المفهوم في الفلسفة الماركسية، وفي أعمال ماركس تحديدًا. وعلى نحو أوضح، استطاع لوكاتش أن يعطي هذا المفهوم قيمة علمية في قلب الفكر الماركسي، فجعله مركزيًّا في هذا الفكر، وأماط اللثام عن وجوده في فلسفة ماركس بالاستناد إلى مقولاته بشأن صنمية السلعة وهوس التسليع الرأسمالي الذي حول الكيانات الوجودية كلها إلى أشياء. كما استطاع لوكاتش أن يرتقي بمفهوم "التشيُّؤ" حتى أصبح هذا الأخير يزاحم مفهوم الاغتراب في المحاولات الفكرية المختلفة التي سنجدها في مدرسة فرانكفورت النقدية (Frankfurt School) ولدى معظم روادها[5]. وبفضل هذا المجهود، بدأ هذا المفهوم يزحف بقوة ليكتسح معظم الدراسات السوسيولوجية التي تبحث اليوم في الوضعية الاغترابية للعصر الرأسمالي الجديد.

لا بد من أن نشدد هنا على أن مفهوم التشيُّؤ، وإنْ كان يُشكل صِنْوَ مفهوم الاغتراب ونظيرَه ورديفَه ومضمونَه في آنٍ معًا، فهو أكثر قدرة منه على وصف الأوضاع الاغترابية في مجال السوسيولوجيا الإمبريقية العيانية. والأكيد أن مفهوم التشيُّؤ بصيغته السوسيولوجية قد فرض نفسه

(5) مدرسة فرانكفورت (Frankfurt School) أو المدرسة النقدية في علم الاجتماع: تيار فكري نقدي ظهر في ألمانيا في العشرينيات، جمع بين الماركسية والفلسفة لتحليل المجتمع الحديث. ركزت هذه المدرسة على نقد الرأسمالية والثقافة الجماهيرية والسلطة، ودعت إلى تحرير الإنسان من الاغتراب والهيمنة. ومن أبرز روادها ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو وهربرت ماركوزه وإريك فروم.

مفهومًا صميميًا وجوهريًا في مختلف النظريات الفلسفية الجديدة التي باشرت ظاهرة الاغتراب الإنساني بالدراسة والتحليل، ولا سيما في مدرسة فرانكفورت النقدية.

ومن نافلة القول أن التشيُّؤ يشكل اليوم ظاهرة إنسانية تاريخية سوسيولوجية تشمل جميع مناحي الحياة الرأسمالية المعاصرة؛ فهو يرتسم على هيئة مسألة مركزية في الفلسفة الحديثة، ويحتل مكانة محورية بين قضايا العقل الإنساني الحديث. ولا غرابة في القول إن هذا المفهوم يُحدث تأثيرًا مزلزلًا في التكوين الأساسي لسيكولوجية الفرد والمجتمع، وذلك في مختلف تجليات الوجود الاجتماعي المعاصر، وهو فوق هذا كله يؤدي دورًا فاعلًا في تنمية الوعي الإنساني المعاصر، إذ يتجلى في أعماق التشكيلات السيكولوجية الداخلية للإنسان المعاصر، ويمتد متجذرًا في الطبيعة الحديثة والتكنولوجية والميكانيكية لمختلف مظاهر الحياة وفعاليات الإنتاج في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة. وقد أصبحت ظاهرة التشيُّؤ متلازمة مع وجودنا المعاصر، وهي تتوغل في جميع مناحي حياتنا الإنسانية لتجعل من الإنسان كائنًا هلاميًّا مجردًا من جوهره الإنساني ونسغه الوجودي.

يأخذ التشيُّؤ المعاصر هيئة قوة تدميرية للعقل والروح، تجرد الإنسان من قيمته الأخلاقية والوجودية، وتعمل على تشويه عالمه الداخلي (قدرات الفرد الذاتية والعقلية)، كما تقوم في الوقت نفسه بتدمير الروابط الاجتماعية القائمة بين البشر. ولا بد من القول إن التشيُّؤ يشكل اليوم ظاهرة أنطولوجية وجودية تغطي مساحة الوجود الإنساني اجتماعيًا ونفسيًا وأخلاقيًا، وهو – إضافة إلى ذلك كله – يشكل ظاهرة ثقافية اغترابية حديثة واسعة الانتشار عميقة التجذر بدرجة أكبر مما كانت عليه في المراحل التاريخية السابقة. ويمكن القول من دون تردد إن التشيُّؤ يشكل اليوم عنوان ظاهرة مرَضية اجتماعية ثقافية تضرب في عمق حياتنا المعاصرة،

إذ تعمل على تعطيل العقل النقدي وتدمير التفكير الحر المستقل في مختلف مظاهر الحياة والوجود. وعلى هذا النحو، يُعَد التشيُّؤ في نظرنا ظاهرة اجتماعية رأسمالية مرَضية تفعل فعلها في تدمير الذات الإنسانية، وتعمل على تعطيل طاقات الفرد النفسية واستلاب قدرته على التفكير العقلاني والتأمل المعرفي، كما تعمل على سلب الإنسان وحرمانه من معظم خصائصه الإنسانية الجوهرية.

يجب أن نَعِيَ أن مفهوم التشيُّؤ يُمثل اليومَ الأداة الأساسية التي يعتمدها النظام الرأسمالي الجديد في تشكيل الواقع الاجتماعي على إيقاع مصالح القوى الحاكمة فيه، وبما يتوافق مع القانونيات السوقية والسلعية السائدة في الزمن السيبراني المعاصر. ومن الواضح أيضًا أن التشيُّؤ أدى إلى إضعاف أشكال التضامن الاجتماعي وتوليد هرمية بيروقراطية جديدة تقوم على التركيز المفرط لرأس المال في جوهر التكوين الأساسي للمؤسسات الرأسمالية المعاصرة. ونؤكد أن التشيُّؤ صار في نهاية الأمر قوة ضاربة قادرة على إصابة البنى الذهنية للإنسان المعاصر وتدمير قدرته على إنتاج المعنى وبناء الدلالات الإنسانية، إذ يفقده روحَه الحقيقية بوصفه كائنًا غائيًا خلاقًا مبدعًا قادرًا على توجيه الحياة توجيهًا إنسانيًا حرًّا. ولا بد من القول أيضًا في هذا المقام إن الرأسمالية الليبرالية المعاصرة اعتمدت منهج التشيُّؤ كقوة، ووظفتها في عملية تشكيل المجتمعات الإنسانية المعاصرة على صورة مجتمعات عبودية يُستلبُ فيها جسد الإنسان وروحه وعقله. ومما لا ريب فيه أن النظام الرأسمالي المعاصر استطاع أن يحول الإنسانية إلى مادة خام مذرَّرة، وقابلة للتصنيع والتسليع والتسويق وفقًا لقانونيات العرض والطلب والربح والسيطرة والاحتكار والمضاربة والاستثمار.

ومعلوم أن قضية الاغتراب عمومًا كانت - وما زالت - الشغل الشاغل للمفكرين والفلاسفة منذ قديم التاريخ وحتى يومنا هذا. وقد فرضت هذه المسألة نفسها بقوة في الحضارات والفلسفات المختلفة منذ

العصر الإغريقي إلى وقتنا الراهن. ومن المفارقة أن ظاهرة التشيُّؤ تنمو مع تطور المجتمعات وتأخذ أشكالًا أكثر عنفًا وتعقيدًا وخطورة مع كل خطوة يفرضها التقدم الحضاري والتكنولوجي. وبدأت هذه الظاهرة تأخذ مناحيَ خطرة، إذ تطورت لتكتسب أبعادًا سيكولوجية ومعنوية ولتأتيَ على عقل الإنسان وروحه في عصر التكنولوجيا المتقدمة، وهو أمر أشار إليه جان جاك روسو في كتابه **رسالة في العلوم والفنون**[6]؛ إذ يرى أن تقدُّم الحضارة يؤدي إلى تراجع الأخلاق، وهذا يعني وجود حالة مطّردة من الترابط العكسي بين الأمرين. وعطفًا على ذلك، يمكن القول إن كل خطوة تحققها الإنسانية في مجال التقدم الحضاري تؤدي إلى تعاظم ظاهرة الاغتراب. ويعبّر سيغموند فرويد عن هذه الوضعية الانعكاسية بقوله: "نحن نعيش في زمان شديد الغرابة، أصبحنا نلاحظ فيه وباستغراب أن التقدم قد عقد تحالفًا مع النزعة الهمجية والبربرية"[7].

ويُعَد كارل ماركس – يقينًا – أحد أبرز المفكرين الذين تناولوا ظاهرة الاغتراب بالدراسة والتحليل في المجتمعات الرأسمالية منذ نشأتها الأولى، ونكاد نجزم بأن أعماله جميعها تصب في دراسة ظاهرة الاغتراب الإنساني في عصر الرأسمالية؛ فالماركسية التي أرساها ورسّخ كيانها هي في جوهرها نظرية تبحث في بؤس الإنسانية وفي عوامل اغترابها واستلابها. ولا بأس في القول مع إنغلز بأن ماركس اكتشف قانون التطور في التاريخ الإنساني مثلما اكتشف داروين قانون التطور في الطبيعة العضوية، وفي ثنايا هذا الاكتشاف استطاع ماركس أن يرصد دينامية البؤس والشقاء والاستغلال التي تُنتج الاغتراب والتشيُّؤ والاستلاب.

---

(6) Jean-Jacques Rousseau, "Discourse on the Sciences and Arts," in: Rousseau: *The Discourses and Other Early Political Writings*, Victor Gourevitch (ed.) (Cambridge: Cambridge University Press, 1997).

(7) Sigmund Freud, *Moïse et le monothéisme*, Anne Berman (trans.) (Paris: Gallimard, 1975), p. 75.

وليس في الأمر مبالغة إذا قلنا أيضًا إن نظرية ماركس الاغترابية شغلت معظم المفكرين في القرن العشرين، وما زالت تدق أبواب القرن الحادي والعشرين، وما انفك المفكرون والباحثون والدارسون يستلهمون نظرية ماركس الاغترابية، وينسجون على منوالها، ويقتبسون من العبقرية التي سطرتها نموذجًا للفهم والنقد والتفكير على مدى القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين.

ونحن شُغلنا أيضًا – وحالنا في هذا الشأن حال الكثيرين – بمعطيات النظرية الماركسية في التشيُّؤ والاغتراب، فوجدنا فيها ما يدفعنا ويلهمنا للبحث والتأمل في هذه الظاهرة، واستكشاف معالمها ومداخلها ومضامينها. وعقدنا العزم على التوغل في التعقيدات الفكرية لمفهوم التشيُّؤ عند ماركس، والكشف عن الأبعاد التي تحيط به. وقد رأينا أن مفهوم ماركس للتشيؤ ليس مجرد طاقة معرفية لوضعية الاغتراب في النظام الرأسمالي، بل هو أداة منهجية نقدية للكشف عن مختلف أوضاع البؤس والاغتراب في العصر الحالي. ومن المهم في هذا المسار التنبيه إلى أننا سنواجه تحديات الفصل المنهجي بين مفهومَي التشيُّؤ والاغتراب، وذلك من أجل فهم أعمق للنظرية الماركسية في الاغتراب وتقديم رؤية جديدة لاستكشاف معالم التداخل والتخارج والتشابك بين المفهومَين في مقاربات ماركس للبؤس الإنساني. ونؤكد في هذا السياق أن التداخل بين المفهومين – أي بين التشيُّؤ والاغتراب – ما زال حتى اليوم يشكل الحقل الخام لمسألة الاغتراب الرأسمالي المعاصر.

وبمقتضى هذه الرؤية، وتأسيسًا على ما تقدم، نرى أن التشيُّؤ يشكل إحدى أهم القضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية في العصر الذي نعيشه، كما كان الحال في العصور السابقة. وينبغي لنا اليوم النظر في مختلف جوانب هذه الإشكالية والخوض في متاهاتها. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، نجد أنفسنا في وضعية البحث عن طبيعة هذا المفهوم عند ماركس

لتقديم تحليل معمق لمختلف جوانب نظريته في التشيُّؤ والاغتراب. وفي هذه المحاولة سنعمل على بلوغ الأهداف الآتية:

– تقديم تصور واضح عن مفهومَي الاغتراب والتشيُّؤ، واستكشاف مختلف جوانب التداخل والتشابك بينهما.

– التأصيل الفلسفي والسوسيولوجي لمفهوم الاغتراب من خلال أعمال كلٍّ من ماركس وهيغل ولوكاتش وفويرباخ.

– تقصّي مفهوم التشيُّؤ الماركسي في مختلف جوانب التفاعل الإنتاجي في المجتمع الرأسمالي، واستكشاف مستويات هذا التشيُّؤ في علاقات الإنتاج، وفي العلاقة بين العمال والعمل وأصحاب العمل.

– البحث في العلاقة بين التسليع والتشيُّؤ، وصنمية السلعة عند ماركس، ودور هذه المتغيرات في عملية تشيؤ الإنسان واغترابه.

– تحديد جوانب التشيُّؤ الرأسمالي في مستوياته الأربعة التي تشمل مختلف مجالات العمل والإنتاج في المجتمع الرأسمالي، ولا سيما اغتراب الإنسان في جوهره الإنساني.

– صوغ رؤية نقدية لمفهوم التشيُّؤ عند ماركس في ضوء التغيرات الحادثة في بنية النظام الرأسمالي الجديد.

الفصل الأول

ماركس: عرّاب النظام الرأسمالي

"إن تراكم الثروة في قطب واحد من المجتمع هو في نفس الوقت تراكم للفقر والبؤس في القطب الآخر".

ماركس، **رأس المال** (*Das Kapital*)[1]

يعدّ الفيلسوف الاقتصاديّ الألمانيّ كارل ماركس[2]، المؤسّس الأوّل للنظريّة الموسومة باسمه في الفكر الإنساني، وواحدًا من الآباء الخمسة

---

(1) Karl Marx, *Capital: A Critique of Political Economy*, Ben Fowkes (trans.), vol. 1 (London: Penguin Publishing Group, 1990), p. 799.

(2) ولد كارل ماركس في مدينة تريير عام 1818 واضطرّ والده إلى اعتناق المذهب البروتستانتي كي تتاح له ممارسة مهنته في المحاماة. التحق ماركس بالمدرسة الثّانويّة في الثّانية عشرة من العمر وحصل على شهادة إتمام الدّراسة الثّانويّة بتقدير امتياز في سنّ السّابعة عشرة. عاش كارل ماركس حياة هروب وتَنقُّل من مدينة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى بسبب آرائه الثّوريّة الرّاديكاليّة. وبعد حصوله على شهادة الدّكتوراه في الفلسفة من جامعة "يينا" (Universityof Jena) سنة 1841 لم يستطع أن يجد وظيفة مناسبة، فعمل في مجال الكتابة الصّحافيّة. ثُمّ هاجر إلى باريس، ومن ثَمّ إلى بلجيكا وبعدها إلى بريطانيا ليقيم ويموت فيها عام 1883. وخلال فترة إقامته في باريس توطّدت علاقته برفيق العمر والأيديولوجيا فريدريك إنغلز الذي كان نعم الصديق الوفيّ والداعم لماركس كي يستمرّ في مسيرة العطاء العلميّ والمعرفيّ. ويُعتبر كارل ماركس عالم اقتصاد وفيلسوفًا، ويُعَدّ واحدًا من المؤسّسين الأوائل لعلم الاجتماع. ومن أهمّ أعماله: **رأس المال** (ثلاثة أجزاء)، **مخطوطات 1844**، **إسهام في نقد الاقتصاد السياسي**، **البيان الشيوعي**، **بؤس الفلسفة**، **الأيديولوجيا الألمانية**، **أطروحات حول فويرباخ**، **والمسألة اليهودية**. ينظر: فرنسيس وين، **قصة حياة كارل ماركس**، ترجمة سعدي عبد اللطيف، تقديم حسين الهنداوي، مراجعة جمال كريم (بغداد: دار سطور للنشر والتوزيع، 2019).

الأوائل لعلم الاجتماع، ويصنف على أنه أكثرهم نفوذًا وتأثيرًا في الفكر السوسيولوجي المعاصر، كما هو الحال في الفلسفة الحديثة. ولا غرو أنه ترك بصمته المميزة في مجال الفلسفة الاجتماعية الحديثة. وقد أتيح له أن يؤسس لنظرية المادية التاريخية، وهي تشكل الإطار المنهجي والتاريخي لعلم الاجتماع الماركسي الذي استطاع أن يسجل حضوره في التاريخ بغزارة الأعمال والدراسات المهمة في تاريخ السوسيولوجيا العالمية.

ومع أن باحثين كثيرين يصنفون ماركس بين الفلاسفة أو الاقتصاديين، فإن معظمهم ينظر بعين الاعتبار إلى الأبعاد السوسيولوجية لفكره ونشاطه المعرفي، ويقدر عاليًا مساهماته في مجال علم الاجتماع. ويمكننا القول في هذا السياق إن معظم أعمال ماركس وكتاباته تبحث في المجتمع وفي ظواهره وقوانينه الاقتصادية والفكرية والسياسية، ولا نبالغ إذا قلنا إنه أراد للعلوم الإنسانية جميعًا أن تنحو منحًى اجتماعيًا لتُقاربَ المجتمع بالدراسة والتحليل والاستكشاف، ومن هنا جاءت دعوته التاريخية إلى تحويل الفلسفة من فكر يجول في الآفاق الرحبة إلى علم اجتماعي على صلة بمشاغل الإنسان، مُهيبًا بها ألّا تقف عند حدود التفسير، وداعيًا لها أن تسعى إلى التغيير. ومن صلب هذا التوجه يقول: "كل ما فعله الفلاسفة حتى الآن هو تفسير العالم بطرق مختلفة، لكن المهم هو تغييره" (The philosophers have only interpreted the world, in various ways; the point, however, is to change it)[3].

أولًا: لمحة عن حياة ماركس ونشأته

ولد كارل ماركس عام 1818 في مدينة تريير (Trier) – التابعة يومئذ لمملكة بروسيا – لأب يعمل في سلك المحاماة. درس في جامعتي بون

(3) Karl Marx, "Theses on Feuerbach," in: Karl Marx & Friedrich Engels, *The German Ideology*, Christopher John Arthur (ed.) (New York: International Publishers Co., 1970), p. 123.